

المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصرينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد أرقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد الملى أرقى من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجراند دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحمدتهم واحمدهم عليه وآتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويجعل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكذ تفر شتشة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقنعهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المراكز منهم فوافقهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنعهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قبيل المحتلين بغير حق واغفلوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً ثقيلاً في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

واقترع عليهم فكان ذلك جل ما يفون من حركتهم الجديدة (۱)
قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكون كل يوم للشيخ عبدالعزیز من الصيغان الكثيرة
في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون تعصبهم الديني
استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى
أوربا للاستغاثة بدولها وامها المسيحية قبل ان يبيدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم
الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين
ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاويش الذي أهانوه أضعاف أضعافهم
وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويمقدون الاندية والسهام للبحث في هذه
النازلة ويكتبون بالأموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من
المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان
المسلمين قاموا مندسين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(۱) مما كتبه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز
التي جعلوها تكأتمهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى
ما جاء في العدد ۳۶۹۸ من جريدة مصر الصادر في ۹ يونيو الماضي وهذا نصه :

اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة أنحاء القطر تقابل ماجاء بصحيفة اللواء
امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من
قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغى الى قوله او يلتفت
الى وقاحته بل ينبذ نبد النواة ويترك يذبح نوح الكلاب وليس من يسمعه قولاً »
ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتغرافات
الكثيرة لما كتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق اللذين خلق
(أي اللواء) لها عدوا ليخزي هو واتباعه (أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء) اذا
كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئین والسامعين، والاساتذة والمعلمين، أن صار يفضل كثير منهم القبطي؛
على المسلم الشامي والحجازي ٦٠٠٠، بل سمعت غير واحد من المعلمين والمعلمين
يقول لا فرق عندي بين أن يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وإن المسلمين جماعوا
أحزابهم وأنديتهم شرعاً بينهم وبين القبط - وإن القبط تمصب بعضهم لبعض في
كل مصلحة وكل عمل حتى في القضاء - وإن المسلمين على شدتهم في انتقاد
حكامهم قلما يتقدون القبط فهم ينتقدون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله
بمحبة انه لم يكن فيه مرغماً للانكليز ولا معاندا لهم أو انه يجب عليه ان يعمل أكثر
عما عمل ولا ينتقدون وزير الخارجية القبطي الذي هو الصق بالمختارين والاتفاق معه ستلخ
لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة
دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامية تدير وتسب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها
بسوء - من علم هذا وأمثاله يتعجب أشد التعجب لهذه الثورة المعنوية التي
أثارتها القبط في الوقت الذي بالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الاخاء بينهم
وبينهم - حقا ان في الامر مثارا للعجب ، وقلا رأينا من بحث في حقيقة السبب ،
يقول بعض الناس تبعا لبعض الجرائد أن قطبي الرحا لهذه الحركة اخنوخ
افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية وجمعية الاصلاح القبطي وصاحب جريدة
مصر اللذان يسمى كل منهما الجعل ولده مديراً فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لخصه
فكانت فتنة جنسية او طائفية باتباع الجمهور لها . ومن رأي أنني برئان من هذه
التهمة ولو كان ذلك هفوة لها ، لما خفي على جمهور طائفتها الخازمة اليقظة ، بل يئلب على
ظني ان هذه الطائفة تجل عن أن تتوسل الى تقرير جعل المديرين منها بهذه الوسيلة
لان ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم ، ودعوتهم الى مساواتهم
ومواخاتهم - هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن، بمتهم ما عندهم من الجرأة والإقدام
والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبارهم
بالنبا الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل ان نعلم به - وهو عزم الانكليز على السماح
لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي - ومن البديهي ان جمهور القبط لا يرغبون في ان
يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقلل المختلون من سيطرتهم على البلاد . فلما علموا بذلك

وأما أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امتهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الاكثرون حقوق الاقليات. واني لمعظم تقديرهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة أكثر من خيرها ، وإثما أكبر من نفعها ،

سما غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاديتهم على مصالحهم الملية يعد من الأمور الطبيعية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تقصم بعروة التعصب فانها تذوب وتفتى في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لا بد منها

وتقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر وجوده فما بالك بادعاء ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في عهده الأيام الا إذا كان لها حدث جديد ، أو أوتت إلى ركن شديد ، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلالة فرعون ذي الاتواد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وآتوي معتد ، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فأتحون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون إليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ما بيناه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها . ولا تعرف لهم ركنا فيما صمدوا إليه الا رغبة السياسة الأوربية عامة والانكليزية خاصة في نزع نهضة المسلمين بالتعصب الديني - فهذا ما رأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

مصر برهاناً على ان في مصر تعصياً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانه فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتعويل في رغائبهم عليه .

ولكن فاتهم على حذفهم أن السياسة (لا سيما الانكليزية منها) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصددها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التمصب الاسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنشرهم بأن السياسة الجديدة التي بينها المنار في الجزء الماضي واقعة ما لها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صارموكولا الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهمك بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتصير عنه « بالعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يتنذروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده ما يكتبون في الجرائد ، وترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لإيهام أوروبا ان في البلاد تعصياً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المفاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربما للقطب وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبفون بها ان يتحدوا بالقطب ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجنبي ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبؤهم من أضعف جانب فيهم كبنزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعد القبطي أخاهم ، والمسلم غير المصري « دخيلاً » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائم القبط وجمياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلوف في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كاتفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائقة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وتاهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من التقاطع والتدابير بين العشاء والخلطاء والجيران والأصدقاء .

فالرأي عندي للقبط أن لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مها أصابوا من تمضيدي مشاققة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فانصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم أو إلى خير منه ان استطاعوا والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان يغفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غريرٌ كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا اني أحب الوراق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي ادعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنني أفضل أن يكون تبيينهم لذلك بغير هذا ، أحب ان يقتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووثام مع من يعيش معهم ، وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط -- ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيراً لهم وأحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلاناً لمواقفيها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا يمزج الرواية بشيء من التأييد والتعجرب ، فضلاً عن الهجر والتقيح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يتازون بحق رسمي على غيرهم من النصارى المتجنسين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود ايضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط ويعدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويمسكهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او اكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الامم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي قانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لاتزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء ، في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيلًا لخليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولاذاتته لأوقاف المسلمين ، ولتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له ام هو لا يملكها الآن الا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لان البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لانه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

تسعي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشيء قط فلماذا تكون أمورهم المالية الخاصة كالحكام الشرعية والأوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون أمور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

ينقلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والصباح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الراجحين بمشاققتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لولا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لقلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجرتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدق لذلك الخبر فلا يعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم (كتربري) والا كانت القبط طائفة حتماء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير بانشاء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -

فانني اشهد للقبط بأنها أرقى طوائف الشرق الأدنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليية لا أقرن بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعَدُّ في التشوف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقية بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهانا على علو همتها ، وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات وواقفها بعض آخر كما واقفها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكاتبين من الفريقين المجر والسباب ، والتنازع بالالاقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تعتذر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد تعادلا في الاهانة فنساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معناه انه ليس في البلاد وطنيه حقيقية ، وأنه لا يزال يغلب على الفريقين نزعة الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضغفت مآقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة المليية ، وابعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا بيب رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الفيور عليهم ، المتفاني في ترقيتهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها اتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

وإذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟؟
اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قتلهم في جانب الروس المشهورين بالتمصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير القبط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها اسلامية والبلاد عن كونها دار اسلام فن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تترجح فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجلنا القبط مديرين لامور المسلمين ، والحال على مانع منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرنا العدوان ، وأرثنا الأضغان ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يندك ولا يظهر ، وعقبة لا تزول ولا تقتمح ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذا ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا ما رآه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخفي فيه يادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخرّ راكعاً وأُتاب